" البحر اميت وكِفَّة برج اميزان "

obeikandl.com

الكتاب: البحر الميت وكفة برج الميزان
المؤلف: بلال الشرجبي

الطبعة الأولى: سبتمبر ٢٠١٥
رقم الايداع: ٢٠١٥/١٧٨٨٨
الترقيم الدولي: ٣-٣٨-٦٤٤٥-٩٧٧-٩٧٨

إشراف عام: آية عفيفي
مراجعة لغوية: محمود عيد
غلاف: Niledesign

كامل حقوق النشر والطبع محفوظة
دار الابداع للنشر والتوزيع
موقع دار الكتب الإلكتروني
العنوان : ٥ برج متوسط - ابراج عثمان- كورنيش المعادي- القاهرة
هاتف : ٠١٠٠٢٠٥٢٢٦٦
E-mail: info@daralkotob.com
www. daralkotob.com

obeikandl.com

البحر الميت وكِفَّة برج الميزان

تأليف: بلال الشرجبي

دار الكتب
Daralkotob

obeikandl.com

obeikandl.com

؟ . . . . . .

" "

قَبَسًا من رسم أسطوري ترتدي شرفات المكان، نقيق الضفادع، صوت الخريف، لون المساء، لوحة الجوكندا وقطرات الندى، تماثيل شمعية ونحتٌ قديم، عيون زجاجيه فقأها الحنين.. دموع تهمر تغسل روحه.. كي يستحيل القلم..... إنه في طور اللسان.

وفوانيس خافتة، تشدو بلحن الغياب، لأبٍ ضاع في بول السراب.. تحت نخلة حمقاء بات صاحبها يجتث الجذور.

وشقوقٍ تمرق منها قصص هاربات من دُرجٍ لمؤلف مقتول.. الكل يعلم أن المكان محصور، وأنَّ منه تقتات أسلاك تصطخب.

كل الأقلام تهاب الهرب.. تعاف الحياة كصوتٍ خرف.. تشق السماء لحون حكمت. أغيثوني وهذا قذر، وإرهاب.. قد أثكل أنصاره طول النصب؛ فباتوا وحوشًا.. تقصف وبعقلنة القلم.

" "

بمراسيم اليوجا وتعاويذ المسخوطين، نذر عهدٍ قديم.. هَلَّ، يصفع السكون ومكنون العدم.
ذرات الغبار.. تعلو.. هاربة.. من بصيص ضوء منكسر.
وظلام ينحسر.
مرعوبًا يركن.. إلى زاوية من عدم.
وجدار فَارِه مستحث.

" "

الكُلُّ مختنق.. والباب منغلق.. جسده الغريب.. خشونته.. رعونته.. تجرح، تدمي، تفتك.

على كرسيه يرتمي.. فترحيب ذليل بحشرجة.. يختلط الموت، مصلوبًا يحمل كتابًا يتضاءل. أقلامه.. أوراقه.. قصصه القديمة.. وأوهام النجاة.

هوامش.. انمحت فواصلها، وبحر مذبوح على كِفَّة سفح برج الميزان، مجرد أنثى.. تُجمد الخلق.. سملت أعين الرجال، نحَرتْ هدهدها من سبأ

جاءت ومسخها مازال يلتهم، خرقاء لم لا أكون؟.. هشمت وجه القمر، ونفقت تطارد النجوم، دون حكم لغالب انتهت لعبة القدر.

" "

أناملـه يداعب... وطاولة تهمي تقشعر.. تستنجد ظلامًا مأخوذًا! يلتقط أقلامه الهاربة.. يخلع لباسها الترابي.. يلعق دماءها.. تلفظ أحشاءها في جوف المكان.. يلبس الهواء رداءً أزرق.. ذراته والقلم المسفوح.. يستصرخان.. وظلام متكور.

يقذفه بعيدًا.. تلتقفه النسمات.. وحبات التراب... باكيًا ينزوي... يلفح بيده.. أسيراً وأسير. يستنطق.. يتفجر.. يواجه بأوراق بيضاء ما عادت تحوي سواه.. ينكره.. يقصمه.. دمه القاني يرسم على الجدران لوحة الغياب.

" "

وظلام مباغت.. يستجمع.. يطوي.. يلف؛ فيسمو ويسدد، يطوق المكان، ينصب محكمة.. مقصلة.. وبمطرقة قلمية وسندان ورقي.. تشرع الجلسة.

بمتهم.. كنت أنا.. ودفاع هي ممحاتي.. وظلام كان القاضي.. ومنادٍ يزعم أنَّ هو دفتر يومياتي.

ذاك المُدَّعي.. قلمي.. ودليله بشهودٍ هن قصصي وحضور.

" "

القاضي: اسمك؟

- مسمول مسفوح.

- سنك؟؟

- ثلاث عشرة أقصوصة وخاطرة.

- مهنتك؟

- دخيل بين فكر وقلم.

- لطفًا، الفظ لسانك.

وفرت لساني سريعًا، كم سئمت تدفقاتي.. وأُطبقت فاهي.

" "

- السيد القلم.. تفضل.

obeikandl.com

- سيدي القاضي: مبتذل هو.. جاهل أبعاد الكلم.. أوقفوه.. كبلوه.. لوحوه.

استغثت.. ناديت بعلو الصوت..مـ..مـ..حـ..ا..ت..ي.. بصوت وَجِل لَوَّحَت:

- لا تعليق سيدي القاضي.

اشرأب الظلام.. استطال.. وعاليًا: أيها المنادي.

فسكوت.. ووجوم.. وترقب.

- مجرد أنثى: هو كاذب.

- جئتك من سبأ: بل انفصالي.

- لم لا أكون: بريء منه القمر، ومن هكذا هراء.

- اللعبة: ممل وكئيب.

- البحر الميت: إرهابي.

- هوامش:.... إنه.

استعطفتُ لساني.. توسلتُ.. بكيتُ.. أنكرتني... حتى لعابي جف وانحسر... رُفِعَت الجلسة، وقلبي لم ينبس بكلمة.

obeikandl.com

" "

حَكَمَت المحكمة بإطلاق لسانه، ولذراعيه وقدميه الخيار ،إما البقاء أو الفرار، وفي تمام اللحظة المنيرة، بلون الخزف لوحوه... شكرًا أرباب الكلم.

" "

اقترب الظلام... ورويدًا.. رويدًا.. طغى واكتسح..طُمِسَ الجذع، وانمحى اللون، ولم أستطع... بلا أقدام.. ولا أذرع.. ولا حتى لسان.. خَلُصتُ إلى نصف وجه حزين في حِضْن تمثال شمع قديم، يثوي ويَدَّكِر.

obeikandl.com

هوامش

مُتَهَدِّمًا أقبل يحمل عشرينه، قامته المديدة، وجهه المقصوم، رجولته ورأسه المثقلة.

شارد متجهم هو، لا يدري.. أرغبة في البكاء ما تعتريه؟ أم وحشة ولهفة للانجراف وللتلاشي؟

خِلْسَة تنضح مقلتاه، باختناقة لمرارة وتعاسة.

- آ.....هـ.

مُسَيَّجَة، مكتومة صعدت.. ليس الوحيد هنا.

إذن.. فسيجارة وعود ثقاب مشتعل، فنفس عميق، فدخان مثقل يجاهد الارتفاع.

حزينًا مشفقًا يطالع: مثلي تحْمِل ما لا تطيق، لَكِنَّك حتمًا.. صاعد، متخلل، متوحد.

- أجل: صاعد، متخلل، متوحد.

obeikandl.com

نشوةً يذوي، يجري، يضحك، يعتو، يَتَهَدَّم، يبكي، يتحلل.

- أو أكثر فعلًا مني.....؟!

- أجل.

أكثر

فعلًا.

هدير الأمواج يداعب، يتقارب.. يرحل إلى كرسيه المتهدم يركن.. أَزِيز، فَأَزِيز، فأنين.

- حتى أنت أيها الكُرْسِي العتيق.....!

- رباه... كلٌّ يوقع ذكره، فماذا أدوَّن من دنياك؟

- أمجرد شيء؟

- نعم: مجرد شيء من أشياء.. عامود النور، السيارات، الأسفلت، الهواء، السحب و المساكن، وأكياس اللب والترمس، أحذية المارة، البحر و الأمواج.. فجأة.. يتوقف لِحُمْرَةٍ تغزو، تداهم وجهه، وعرق يتصبب، فابتسامة ساخرة.. ونفس يائس عميق:

- ولَكِنَّ، هناك... نعم هناك.. اتسعت الحدقتان: تلك الصخرة القابعة في بدء الشاطئ،

معزولة، مركونة، ساكنة، مهمشة وصامتة، اصطراعها كاصطراعي.

- اللـه.....! ما أجمل ألا تبوء وحيدًا!

obeikandl.com

- رمقة أخرى،

وأخرى،

فانكسارة،

فدمعة عاتبة.....

لعاشقين لاذا بها؛

فلأكنافها بعض الأمان.

obeikandl.com

obeikandl.com

البحر الميت وكِفَّة برج الميزان

طفولة :

الطفل وأمه، على جبل صهيون، كوخ يبتلعهما، يعلوه صليب عتيق.

البحر الميت، رذاذه عاليًا يعلو، يطغى الجبل... بلون أحمر يلطخ أعلى الكوخ.

يكتم أنفاس الصبي؛ يخنقه... سعال، فسعال وسعال.

يتقيأ... يلفظ لسانه الحبيس، يزأر:

- أماه: الرائحة نتنة؟
- أغمض عينيك.
-

شمس وصليب :

تبسط تجاعيدها، ابتسامتها، جذلى تعانقه، تلتقطه بأذرعها المديدة، حبًّا يحمر خجلًا، يحتضن ذراعيه:

- انزع رذاذك عنك، أو فأظافري.

وابل من أشعة ملتهبة، حريق، فدخان كثيف ومحيط.

obeikandl.com

دخان :

أسود، يبتلع الأمل، وصليب قد نضج. أحماض تفرز.... هضم، فتمثيل، ولكن تلك الرائحة.

عنوة يلفظه، سابح ببحر من مخاط. ولا تزال بقعة حمراء.. ناصعة، ينتحب... ينتحب.

احتضار:

بحر يحتضر، وعينان تغمضان، أنين، فهدير يخبو، ونبض لأمواج خافت.

حشرجة لنفسٍ أخير، وشمس تعاود الضم، الاحتضان، تلهبه.

شعر محترق، ورائحة تعلو، ترتفع، تطوق أنف الدخان.

وصغير هناك، يحوطه قلب أم ورائحة.

يلفظ أحشاءه، مبتسما يكرر شكواه.

و.. أغمض عينيك ثانية.

obeikandl.com

ورياح:

ريح عاتية... هبت... اقتلعت... عصفت بالكوخ، ودخان يتشبث، شمس تتدحرج وجلد يتسقَّط، وعظم يتأكَّل وأم تتبعثر، لصبي مذعور يلملم أشلاءه، يطارد أعضاءه، يمتطي أمواج البحر.

:.....

عاليًا يطير، يسبح مبتعدًا بحمرته، وهناك بجانب الهلال يستقر في كفة برج الميزان، ونجمة داوود تسكن كفته الأخرى.

******

obeikandl.com

obeikandl.com

اللعبة مملة

الزمان: مُقْتَلَع النجوم وابتلاع القمر، واللحظة حزن وهم وغسق.

المكان: موطئ أحذيتهم، صلبة، محززة، سوداء بلون الكَمَد.

أزيز طائراتهم، دوّى مدافعهم، قذائفهم، خطاهم تجوب، تملأ الأزقة،

صافرة إنذار ولحن تأبين مبكر، لنهر يتوارى ومدّ ينحسر.

بقوة هتكوه، لووا عنقه، داسوه، فقأوا.... فصلوا... هُرِع الآخر، وَلّى، شد أدراج الخليج.

الذعر تاريخ هنا.. متأصل.. متوغل.. والآن مصير محتوم.

وصغيرة تلهو، ولعبة المنازل المتهدمة، وتلك أُم تنظر.. تراقب.. تَعُبُّ قهرًا وصديدًا.

- ١، ٢، ٣، ٤..... لقد أخطأتُ.

ومن بدء البداية:

- ١، ٢، ٣، ٤..... وأخطأت أخرى! هلاّ ساعدتني؟

ومن وراء كرش متكور، تطل البشرة مهترئة وبثور عهد قديم، وبأعين غارت أنصافها أرجاء أنف مكتسح، يرمق طرف أجرد، ويلمع ناب أزرق:
- إليك ما تبقي.

ارتعادة، فالتفاتة، فبئر يستغيث.

ودلوف إلى وهم البداية:
- ١، ٢، ٣،.....!!
- ١، ٢،.....!!
- ١،..... لعبة مملة.

لهذمة تخبو لتجشؤ يعلو، فتدنو بحة: لكنها الأسهل.
- سمعًا وذلًا.

هزيلة الأقدام تنغرس، وكومة رمل ما فتئت تفترس.

وهذه الريح صرير وعتو، وتلك منازل كانت يومًا، وتلك أخرى تبكي الخلَق.

obeikandl.com

زحف يعرِّي، وعصف يشظي، وقصف يسجِّي، فظلام يطمس، وتكور يهمس لتكور يتكور.

أحمر تخلع الشمس رداءها، لزمن يختال، يتجبر، يتبختر.

وصغيرة متضائلة تتضاءل، تلهث، تحبو، تتقزم، تدنو، خِزيًا وعراء تتململ.

جنزيرة تقترب، وهمهمات لا مفهومة، وبقايا وجه ومفردات هاربة تحدق وعملاقة تهبط، بسرعة، بخفة تدهم تلتقط، وبكسرة ناشفة تنبسط، فتراود دمعة حائرة:
- غريبة هذه الخطى، وغريبة أمي والغزاة، ومغيبة مغشية أنا.

ومن هُناك من مستوقف الزمان، يباغت العذاب فيرسل انفجارًا، يبدد المكان، يهشم السؤال، فيسكت اللهاث.

******

obeikandl.com

جئتك من سبأ

مُحَوِّمًا يثقب جدران الفضاء، يدمدم سكونها وذراتها المتماوتة، شعور ملكي ينتابه وحده من يتفرد بجرأة التحليق هنا.

- ما أغرب هذا المكان! سُحبه الترابية.. نسماته المخنوقة.. صمت أحيائه وهمَّهم، خواءهم.. أنفاس موتاهم.. وجومهم، وسكون مقابرهم.

كُلُّ شيء غارق متوغل متباه.

وحدها تلك السحابة بدلالها تستدرجه.

صوبها يلتفت، يندفع، يخترق.

بضبابها تكبِّله، تطوِّقه، وهناك على أرض جرداء تقذفه.

تُرْفَع الزغاريد وتُدق الطبول فتُفغر الأفواه، وتحتشد الرياح، وتبتهج الرمال تشيِّع مراسيم الفرح؛ فيستفيق ضئيلًا، أثارت رعشته ضجة الامتصاص.

obeikandl.com

ينتفض، يهرع، يعلو هيكلًا، عند هامته يلتقط أنفاسه.

وإلى السمـاء يطلق ناظره:

- إلهي: ظني أني ضللت الطريق.

يستذكر، يستغرق، يستبعد، لكن! لهذمة من زاوية قريبة تبادر.. يمد العنق.. يبحث.. يدنو، وتنفجر الضحكات:

- يا لهذا الشيء! أمسيخ أم شائه مشبوه؟!

أو جمجمة حمار ولسان ضفدعة وأذنا فيل وتجاعيد متناغمة وأخاديد؟

- ما كل هذا؟ ولم التلذُّذ والكسرة ناشفة!

ودونما التفات تنصرف الألحان الجائعة مرفقة بتنهدات وتأوهات نهمة.

- يا.....

- يا هذا.....

- أيها المسخ..... هلا دللتني؟

مشمئزًا يرنو منكفئًا يهمس: ليته ذبحك.

- يا أنت... بُحَّ صوتي، وسئمتك وهذا التلذذ.

مستغرقًا يلعق الوهم ويستحلب الريق.

obeikandl.com

- ابتلعها وخَلِّصْنِي.

وللملامح شبع كاذب عنَّت، وضع الكسرة جانبًا: غبي و أحمق.

- أنا أحمق أيها ال.....

- ألا تفهم ما يحدث لو قُدِّرَ وابتلعتها؟

- ماذا؟ أتموت شبعًا؟!

- بل لن أجد ما يستحث بقائي.

- عجيب أمرك يا هذا!

- مالي وتلك؟ خبِّرني كيف السبيل إلى سبأ؟

- أي سبأ تقصد؟

- سبأ، التاريخ، السد، بلقيس.

- ببرود مستخف: أنت الآن فيها.

- ماذا؟ أنا الآن فيها؟!! سألتك عن سبأ يا هذا.

- نعم، هي ذي ما تريد.

- أو تقصد أنك سَبَئِيّ؟

- أجل.

ينفجر الضحك، يتدفق سيولًا، أنهارًا، هستيرية وجنون، شهقات صهلى، ارتماءات وانبطاحات ساخرة:

- سبأ! تقول سبأ! أو قد سُبئت؟

obeikandl.com

- أجل سُبئت.

- ومتى ذاك؟

- يوم الفأر، وزحف أبرهة، وغمود سيفي؛ فقدتُ أنفي، وتدحرجت من علو القلعة هامتي، ويوم الحوبان طارت لعنةً عنقي، وبطعنةٍ غادرة فقدت بصيرتي، أما عصاي فسوسة بلهاء. نعم سوسة بلهاء، اعتصرتها فآلت هشيمًا قبل التَّعَصي.

- وما بال بقيتك؟

- حرية رأي فعلتْ ما ترى، شُدَّ لساني، استطال حتى الثمالة، لحق أذناي، كُفَّت ذراعي.

صدري لكل متصيدر، ودمي لمن طغى يتعيدل، وقدماي قيد كل متقيدم، أما عورتي فنزوة لكل متحيرم.

- تُرَى بعد هذا أَتُسْتَرَدُّ ملامحي!؟

- ....." سيأتي يوم تصبح فيه القصيدة امرأة والحضارة أنثى ".

قالها وابتعد، بينما عاود الآخر كسرته.

******

لم لا أكون ؟

" "

في منازله الكل يستكين، وطريق خاوية تعربد في جوفها الرياح، تنشد عابرًا يسدها، يملأ خواءها، يقطع هذا الصفير المقيم.

ترتجف الأحجار من قلوبها، ومن قرار البطون تعوي النخيل، الجوع جائع هنا، ماكث ينظر إلى الرغيف.

" "

أقدام تُسمَع من بعيد، تُرَى، تقترب، مترنح يسير، قنينة تلمع في يده، يغني يصفق، يرتشف، يقهقه يباغت:
- أما من رفيق سمر؟ يبدو ألا سواك أيها القمر.

oberkandl.com

" "

تبصق السماء لعناتها، تدير النخيل الوجوه، تُضَيِّق الطريق الخطى، يود لو يتقيأه، فالجوع أهون، وإن أودى وأردى.

نعم.. ليس سوى القمر، ابتساماته، بهجته وبهائه.

" "

وجه السماء يتجهم، وبعين الخوف ينظر... مايزال مبتسمًا، تُصَفِّر الريح مُعْلِنَةً، تشرئب الأحجار وَجِلَةً، تحملق النخيل في الفضاء، النجوم ذاهلة ترقب مصيرها والقمر.

" "

يتأهب القمر، يَكْفَهِرّ، غيوم سوداء تقترب، الجمع يَرْقُب ويحتسب.

وعلى أحد جانبي الطريق يَسْتَقِرّ، يَرْتَشِف، يُخَيِّم الظلام.

هذه السماء قد تَلَبَّدَت، وهذه الغيوم تَحْجُبُ القمر.

obeikandl.com

" "

أيُّ رفيق هذا؟! وأي سَمَرٍ ذاك الذي أنشده؟!

أَنَاتٌ خافتة تقطع التساؤلات، يدير رأسه، يَلْحَظ، يَقْتَرِب.

أَشْعَث، رَثُّ الثياب، حافٍ، حالت بشرته إلى السواد.

مستلقٍ على جانب الطريق، مضطجعٍ وسادة حجرية، يتكور، يثني أحشاءه الخاوية.

تتسمر العينان، تذهب نشوة الشرب، يقذف بقنينته، إهراق دمها المفسد يلوث وجه التراب.

" "

قدماه توقفتا، قيد سميك يلفهما، يحاول الانتصار.. التقدم، تعتصر قلبه أنات الصغير.. يتنهد بحرقة:

- رباه.. ماذا بيدي؟!

تُسقط الرياح قُبَّعَتَه، يشتد البرد؛ يتكور في معطفه، ويزداد الصبي تَكَوُّرًا على لحمه.

obeikandl.com

" "

عينيه... يغمض، يستدير.. ماذا يعنيني من هذا الصبي؟!

يسير عائدًا، يبتعد، القيد ينفك، يسرع، لكن قلبه معلق بالصبي، يود لو احتضنه، التقفه بين ذراعيه لكن.....!

يسرع.. يبتعد..... يبتعد.

" "

يتناسى، يحاول التفكير بشيء آخر، يتذكر بعض الفكاهات، يستضحك نفسه.

توقفه أَنَّاتُ الصَّبِي.

يلتفت نحوه وعيناه مغرقتان بالدموع، يصارع، خطاه غير مستقرة، يُوْقَف، لا يرى قيودًا تكبل قدميه.

" "

عينيه..... يغمض، يستدير.. يسد أذنيه بإصبعيه.. مسرعًا يقترب من المفترق.

- لقد نسيت قبعتي.

يعود مُثْقَلًا..... ي.... ق.... ت.... ر.... ب.

" "

عيناه مسمرتان على الجسد النحيل..

أين القبعة؟!.... يتحسس هنا وهناك.. أما عيناه فملك لقلبه.

- حسنًا، لقد ابتعدت عن هنا.

يستدير، يستحث الخطى، يهرول، يتوقف، لا يدري، أيكمل أم يعود؟

obeikandl.com

" "

إلى السماء ينظر، الغيوم تنجلي رويدًا.... رويدًا.

القمر يظهر خلفها مبتسمًا، النجوم تلتف حوله مهنئةً، يود لو كان القمر.

- (مُطْرِقًا): لم لا أكون القمر.....؟! لم لا أكون القمر.....؟!

******

obeikandl.com

مجرد أنثى

كل شيء في هذا المكان يستعد للحظة وداع، النجوم تطل على استحياء خلال صفحة السماء، وكأنها تنذر بالأفول، المصابيح الغافية تحت ليل الشتاء الحزين... إنه ليل الوداع.. وداع إلى حيث لا رجعة.

صرخات تعلو، تمزق سكون الليل، وقع أقدام توقظ الأحجار النائمة.

ينذر أحدهم:

- تمهل قليلًا؛ فالطريق مُوْحِش.

يُرَدِّدُ آخر:

- أَشْعِل المِصْبَاح.

يخيم الصمت من جديد، صوت أجش يجالد البكاء:

- احملها برفق.

ينظر إلى السماء؛ فتبدو كئيبةً خافتة النجوم، يدير النظر هنا.... هناك.

ينظر إلى الوراء مُداريًا دمعة أبت إلا أن تنحدر عبر وجنته الشاحبة، يحاول أن يحث خطاه تجاه النعش.... الحزن يكبل قدميه، يأخذ الجثمان في الابتعاد شيئًا فشيئًا..... صوت يُدَوّي في أعماقه:

- لقد رحلت..... لقد رحلت.

- (يتمتم): ليتني مكانها.

منه يقترب... شيخ علت وجهه قسوة الأيام وتجاعيد الدهر، يهمس في أذنه: لا تحزن..... أنثى!

ينظر إليه، يرسم على شفتيه ابتسامة..... يردد: أنثى.... أنثى!

مغالبًا حزنه محاولًا: نعم... نعم.... أيها القلب اللعين..... أنثى.. أنثى.

يسير مذهولًا، تدفعه قدماه دون وعي، لا يسمع سوى تلك الحوقلات التي أخذ الركب يرددها، يستحث الركب خطاه، وتُقْرَع أسماع المقبرة الغابرة:

- أنتم السابقون ونحن اللاحقون.

تقطع ذهوله؛ فترتعش لها أوصاله، ينظر أمامه مثواها الأخير، أصوات تتردد:

- ضعها برفق.

- تنبه.. تنبه.. إحْرفه يمينًا.

obeikandl.com

يحملق في الجسد.. حُفْنَات التراب تنهال عليه دون رحمة، تأخذه بعيدًا:

- كم كنت قاسيًا!

نعم.. منذ الوهلة الأولى، يوم امتلأ البيت حزنًا.. أنثى!

غاضبًا عابسًا كنت... لا أدري، هل احتضنتها في مهدها... أظنني فعلتها.

ينساق مع الذكرى الأليمة، كم قابل حبها ولهفتها بقسوة ... اقتحمت دنياه!

صوت أَجَش يقطع الانسياق: قم ننصرف.

يلقي نظرة حزينة على قبرها، ينظر إلى السماء.. نجومها قد أَفَلَت.. مُثقلًا نحو منزله: هَوِّن عليك؛ إنها أنثى.

يضحك بجنون: نعم، أنثى.. أنثى.. أنثى.

بهدوء ينسلخ مودعًا إلى منزله.. يسير هائمًا على وجهه.. الناس يذهبون ويجيئون كعادتهم.. بعمر ابنته تسير بجوار والديها.. ينظر إليها.. يَوَدُّ.

ومُهَوِّنًا على نفسه:

- ليست سوى أنثى.

ببطءٍ يصل باب بيته، ينظر إلى زوجته تحتضن صغيرتها؛ بجوارها يعلو نشيج وحيدها.

يُحَدِّق في وجهه: إنها أنثى.

نحو غرفته، مسرعًا يرتمي على مقعده، حائرًا يرتد سؤاله.. وفي الباب.. وقفت أنثاه الصغيرة.. ابتسامتها... إطلالة وجهها.. بذراعيه يحوطها، يجهش: ليست مجرد أنثى.

******

obeikandl.com

رأس السنة

الفراشات تحلّق ليلًا على أضواء المدينة المُنْهَكَة، السحب تكتم النَّسَمات، أجراس الميلاد تستعد، القمر يحتجب، يرتدي حُلَّة العام الجديد، الكل يرقب ساعته، يحتجز صرخة. الأحبال الصوتية تبرز متورمةً في الأعناق، تنتظر لحظة الانطلاق، الجميع هنا يستحث قواه من أجل تلك الصرخة.

...

عقارب الساعة وَجِلَة خائفة، تَنْدُبُ الماضي، تقترب من الساعة الفاصلة، تقترب ببطء. عقرب الثواني.. لحظاته المعدمة، أشلاؤه المتناثرة على جنبات الزمن، وهنيهاته المذعورة على كتفه ترقب مصيرها المحتوم، يُرَبِّت عليها باكيًا، يثور، ينتحب، يعلن إضرابًا، يوقف الحِرَاك، يفرض الحِدَاد، يشرع في بناء نُصُب تذكاري للحظاته المشنوقة، ويخط على جدرانه: (العام الجديد قبل ثانية).

...

الكل يستنكر، يندد، يتوسل، يحثه على الحِرَاك.

نشيجه يعلو؛ ليكسر جدار الصمت، يبدأ حفل التأبين.

...

الساعة الفاصلة، تدعو لاجتماع طارئ في منزل الساعة الحادية عشرة.. القمر، الفراشات، النجوم، أضواء المدينة والريح الموسمية، الكل جاء ملبيًا، مُهَرْوِلًا، مَشْدُوهًا.

يدق بندول الساعة معلنًا بدء الجلسة:

- الساعة الواحدة: لابد من تحريكه.

- الساعة السادسة: إنه مغرور.

- الساعة الثالثة: إنه يحكم علينا بالموت.

- الساعة التاسعة: لن تكون هناك نشرة إخبارية بعد اليوم.. أمر لا يُصَدَّق.

- القمر: لابد من وقفة حازمة مع عقرب اللحظات هذا.

- الريح الموسمية: امنحوني فرصة لأقتلعه من خارطة الزمن.

- الساعة الحادية عشرة: نحن في زمن السرعة ويصعب اقتلاعه.

- عقرب الساعات: أجل، الناس لا تعترف إلا بالساعة.

- عقرب الدقائق (حزينًا) يومئ مؤيدًا: أجل يمكننا اقتلاعه، تهميشه، يمكننا.. هتافاتهم تعلوا مطالبة.

- الساعة الفاصلة: نظرًا لأننا نستقبل عامًا جديدًا، ونتيجة لعصيان عقرب الثواني واستهتاره بمقدرات الحياة؛ فقد أجمع المجلس الموقر على اقتلاع عقرب الثواني من الزمن، وعليه؛ تم تكليف الريح الموسمية بتنفيذ الأمر وبتاريخ اليوم، في تمام ساعته الموقوفة.

...

انفض الاجتماع، وعادت الساعات إلى منازلها، القمر يواصل ارتداء حلته الجديدة، الفراشات تطير من جديد، النجوم خلف السحب تتدرب على تشكيلاتها الكرنفالية.

الريح الموسمية تستعرض قوتها، تقتلع الأشجار، تنفث الرمال في السماء، تهدد، ومازال عقرب الثواني يعلن الحداد، تثور، تتوهج، تنفخ، تقتلعه من مكانه، وتغدو الساعة بلا ثوانٍ.

...

عقرب الدقائق يقفز إلى الساعة الفاصلة، يلحقه عقرب الساعات، أجراس الميلاد تدق، تدوي في السماء صرخة الحناجر المكبوتة، صرخة

obeikandl.com

ألم، فقر وجوع، الأحبال الصوتية تتمزق، الفراشات تموت، الأضواء تنتحر، النجوم تهوى في قاع البحر، القمر يتدحرج بعيدًا، الريح الموسمية تتبدد، والظلام يُطبق على المكان.

صوت قوي يُدَوّي في الفضاء:

Happy New Year

******

obeikandl.com

بدون عُنْوَان

جاثمًا أمام بوابة المقبرة العتيقة، هنالك على طرف مكتبي، يحرس الموتى ويشدو ألحانًا موسيقية، دخلتُ غرفتي، لَحْن شَجِيٌّ كان يداعب الطفل الصغير داخل صدري، استشعرت بهجة طفولية فقدتها، وقفت طويلًا أتمايل مع ذلك اللحن وأغوص في عالمي.

...

- "الله واحد والرب واحد ولا دايم إلا الله"

تهليلات قطعت ذلك اللحن، حشد من الأحلام يصطف فوق مكتبي، عربة تجرها ممحاتي، يتقدمها فريق أوركسترا يعزف لحنًا غير مفهوم.

...

obeikandl.com

النَّعش المُسَجَّى بعلم وردي تتوسطه شجرة القطن بزهورها الثلجية، يشق المجموعة الحزينة، يتقدم ببطء نحو المقبرة العتيقة، الدموع.. التهليلات.. العزف الموسيقي.. تختلط.

...

وقفت مذهولًا، استوحشت المكان، كنت أرقب النعش المتقدم بين الجموع وعيناي تدمع، إحساس بالأبوة تجاه ذاك الحلم الطفولي، وددت لو أني أوقفت ذاك الركب وأحييت الحُلْمَ من جديد، وهرولت مُسْرِعًا؛ أسابق الرَّكْب إلى طرف مكتبي.

...

كانت مقبرة أحلامي، سورها القزحي وشواهدها العالية، أضواؤها الخافتة، سكونها ونسيمها، قلمي يتنقل بين القبور حاملًا كمانًا يعزف مقطوعة صغيرة، وتَرَاتِيل قدسية على كل مرقد.

بصوت عالٍ: يا هذا أين سيكون قبر حلمي الجديد، أقصد حلمي الأخير.

يُومِئ دون اكتراث نحو حفرة، ويواصل مقطوعاته وتراتيله.

أصوات الجموع تقترب، تتدافع على بوابة المقبرة، تملأ المقبرة، المكان يَعِجُّ بالازدحام، تسقطني وآخر أحلامي في تلك الحفرة.. وترفع شاهدًا شجرة القطن بزهورها الثلجية.

الموسيقى.. التهليلات.. الدموع.. النشيج.. التراتيل وعزف المكان.. تخفت رويدًا رويدًا.

وقلمي يتنقل ويعزف بالكمان، وتراتيل قدسية كل صباح.

******

openkandl.com

obeikandl.com

عَرَبِيٌّ

ساهٍ في مقعده القديم، لا شيء سوى الليل يلف بصمته جوانب المنزل، تخبط الريح أبوابه الغافية، يغيب في التحديق، فجأة.. ينظر في ساعته، يهب، يهرع إلى المذياع.. يفتحه، يخطو متعثرًا نحو سراج يوسوس بضوئه الضعيف.

...

ساعة الحائط دقاتها تنبئ: موجزًا لأهم الأخبار، كانت القدس بقبتها وشهدائها، كانت بيروت بدفئها وجمالها، كانت بغداد بشعرها وعطر أثيرها، وكأرحب ما يكون المد يمد ذراعيه، يلفها حول جسده، يغيب لحظةً، يصرخ؛ فتكاد صرخته تشق الجدران:

- آهٍ.. آهٍ.. هل افتقدتك يا موطني؟!

ينحني كمن يحاول التقاط شيء، يحبو، يدور، يضحك عاليًا، يلتفت يمينًا ويسارًا، ينظر بين يديه، يعلو صدى كلماته:

- ما أجملك!

...

يمسك قلمه، يلعقه، يتلمس سطور ورقته، يخط قصيدة عروبته، مشاعره تنساب من بين السطور، تتسابق إلى جبل لبنان، تهوي منتحرة، مودعًا يلوح بذراعه، قلمه الباكي يسير في الطابور.

...

يُغْمِض عينيه، دموعه خلسةً تنساب، يغوص في أعماق قضيته، محمولًا على نعشٍ ينظم للطابور.

******

obeikandl.com

الورقة الحمراء

رنين الهاتف العالي، يهز طبلة أذنه الخاملة، يدغدغ خياله المظلم، يشق جفنيه عنوة، يحملق في ساعته زمنًا، يزيح الغطاء بجسده، يرمي قدميه على أرض الغرفة الباردة، جاهدًا ينتزع جسده من مرقده، ينتصب محني الظهر، زاحفًا يتوجه نحو الهاتف.

- نعم؟؟

صوت مألوف، ينصت، يداه تداعب شعره برهةً، وجسده زمنًا.

- نعم.. نعم.

ابتسامة صفراء ترتسم على شفتيه المتشققتين.

- الحمد لله.. شكرًا.. شكرًا.

يقفز، يصرخ، يضحك، نظرة حائرة تغشى مقلتيه، يغوص في أحلامه.

الآن فقط، أستطيع أن أكتب.

obeikandl.com

...

يطبق على أنفاس مكتبه المنسي، يغتصب منه قلمًا وورقة حمراء، ضاحكًا ينفجر:

- قلم أحمر وورقة حمراء!!

يخرج مسرعًا، يفتش، يقلب أرجاء البيت باحثًا عن قلم آخر، يحوم بتفكيره، المطبخ، الحمام، الصالون، غرفتي، الشرفة.

مُثْقَلًا يعود إلى مكتبه، يلتقط ورقة بيضاء، يجلس على كُرْسِيِّه المُقْشَعِرِّ من جسده الغريب، يمسك قلمه الأحمر، يغيب في التفكير، يدون أول أحرفه على ورقته الحمراء.

******

obeikandl.com

سلمان ابني.. و أنا ابن الناس

مستلقٍ على فراش الموت، عيناه متسمرتان على سقف الغرفة المغطى بالسناج، جسده النحيل، وجهه المهترئ، حشرجة أنفاسه المتقطعة، دموعه المنهمرة.

كنت جالسًا أرقب دموعه، وددتُ لو فهمتُ لغة الدموع.

صوت عقارب الساعة، يسابق دقات قلبه، يُدَوّي في الغرفة المُفْرَغَة، يصوغ لحن الأفول، على أنغام أنفاسه المتقطعة، وشمس تشق طريقها على وجنتيه، تضيء درب أدمعه المترقرقة بانسياب.

- "جَدّي.. جَدّي.."

لم يُعِرْني اهتمامًا، حاولت استضحاكه، مداعبته، ذكرت له كل شيء يحتاجه: ماء.. دواء.. المرحاض.. طعام.

دون اكتراث كان يغوص في عالمه، ودموعه تنهمر، ودقات الساعة تتسارع، والشمس تخبو، وسكون يطبق على أنفاس الغرفة، ينصت.

خطـوات متسـارعة في المـرآب تقترب، تحـرك الهـواء السـاكن، تكسـر الصمت، تشوش لحن الأفول، أنفاسه تتسارع، دموعه تتوقف، يشرئب عنقه نحو الباب، ابتسامة ترتسم، ترقب.

- "أبي، كيف حالك؟" دَبَّت الحياة في وجنتيه، حاول الحِرَاك، بَسْمَتُه المُمَرَّغةُ بالمرض لم تفارقه، قالتها تحيةً والتفتت نحوي:

- "كيف حاله؟".

- "مستقر، والحمد لله".

أدخلت يدها في حقيبتها، وأخرجت مبلغًا من المال، وضعته تحت وسادته المهترئة، ثم رحلت.

عادت دموعه تنهمر، ودقات الساعة تتسارع، وأنفاسه تتقطع.

******

شرقية

على الضِّـفَّة الغاربـة، أدراج نبـع قَصِـيّ، بأكـدافها وأسـمالها، بأهـدابها الزاغبة، وشوق عمر كسيح، تدلت تُجَالد سهدها وحلم المبعدين.

******

obeikandl.com

obeikandl.com

عندما تَسَاقَطَ وجهي

بينما أخذ وجهي يتساقط، حملت إزميلي، شرعت أنقش في وجه البحر وجهًا قزحيًا، وبينما كانت أطيافه تَتَلَوّى، قَفَلْتُ أَجُرُّ تَهَدُّمِي وَبَقِيَّتِي، أردم شقوق الابتلاع.

******

obeikandl.com

obeikandl.com

هنا الغول

كنت أخبئه في ثنايا الوسادة وأدفئه كل ليلة، وكان مُنْسَلًّا يتلصص، يطرق سقف جمجمتي فتنفتح كبوابة ضخمة.

******

obeikandl.com

obeikandl.com

الفهرس

- .....؟..... ٥
- هوامش..... ١١
- البحر الميت وكِفَّة برج الميزان..... ١٥
- اللُّعْبَة مملة..... ١٩
- جِنْتُك من سَبَأ..... ٢٣
- لمَ لا أكون؟..... ٢٧
- مجرد أنثى..... ٣٣
- رأس السنة ٣٧
- بدون عنوان.....٤١
- عَرَبِيّ ٤٥
- الورقة الحمراء ٤٧
- سلمان ابني.. وأنا ابن الناس ٤٩
- شرقية ٥١
- عندما تساقط وجهي ٥٣
- هذا الغول.....٥٥

obeikandl.com

obeikandl.com

"لا تسجن معرفتك و بادل كتبك"

القـراءة هي الحيـاة، فـنحن نقـرأ لنتعـرف على خـبرات وحكايـات الآخرين، نقرأ لنتعلم شيء جديد، لنتعرف من قرب على عـوالم قـد لا نعرف عنها شيء، لذا صديقي القارئ لا تسجن معرفتك وبادل كتبك مع الآخرين.

فلا تجعل هذا الكتاب يقف بين يدك وحدك، فمن خلاله قد تكون أستمتعت، وتذوقت متعة القراءة، وقد تكون تعرفت على شيء جديد، فلا تبخل عن من حولك بهذه المتعة.

موقع دار الكتب
"نحن نحترم الكتاب"

obeikandl.com

obeikandl.com

إصدارات موقع دار الكتب:

١. آية الله الخميني بين الثورة و الطغيان
٢. قبل أن أموت
٣. فتاة شرقية.
٤. كاتيا.
٥. شمس
٦. لوزة قطن.
٧. حياة وحنين
٨. رحيق العمر
٩. عواطف
١٠. الوهم.
١١. الاعجاز العلمي في القرآن الكريم.
١٢. تاريخ مصر الفرعونية
١٣. ديوان البت سعاد.
١٤. الكفايات المهنية للتعليم ما قبل الجامعي
١٥. الموعد
١٦. اذا لم تزد على الحياة شيئا كن انت زائد عليها
١٧. عائدون من بين الانقاض
١٨. -حذاء جديد

obeikandl.com

١٩. حلقات مفرغة

٢٠. يوميات طبيب في وطن مسلوب

٢١. أصحاب الكرش

٢٢. جئت ورحلت

٢٣. سخصية مصر

٢٤. ديور... ابن الحرب

٢٥. رجل مدخر

٢٦. ليلة فى الرنفة

٢٧. استراتيجيات التسويق عبر الفيس بوك

٢٨. يوميات مع نفسى

٢٩. سلسلة القائد المتوازن.

٣٠. يوميات واحد فيس بوكاوى

٣١. نصف انسان

٣٢. اريد ان اكون زوجة ثانية

obeikandl.com